موسوعة

حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات

المجلد الثاني

شبهات حول الإعجاز العلمي في الأرض وعلوم البحار

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

الشبهة السادسة

نفي الإعجاز العلمي عن قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(*)

مضمون الشبهة:

ينفي بعض المتوهمين الإعجاز العلمي عن قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم: ٤١)، ذاهبين إلى أن تفسير الفساد في الآية بالتلوث البيئي والقضاء على كثير من مظاهر الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية بسبب الحضارة الصناعية لم يقل به أحد من المفسرين القدامى، وأن جُلَّ ما قالوه في الفساد لا يعدو: القحط، وقلة المطر، وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات من كل شيء... إلخ. ويتساءلون: كيف يكون تلوث البيئة اكتشافًا علميًّا وإعجازًا قرآنيًّا؟

وجه إبطال الشبهة:

- في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (الروم: ٤١)، إشارة إلى الفساد الذى ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، والذى تعانى منه الأرض وأحياؤها اليوم أشد المعاناة؛ ومن ثم فإن هذه الآية الكريمة من آيات الإعجاز العلمى والغيبى؛ لأنه لم يكن لأحد من الخلق إمكانية تصور الواقع الحالى البئيس للأرض من قبل ألف وأربعمائة من السنين، وهذا لا يتعارض مع التفسير القديم للآية كما توهم الطاعن؛ فكل - سواء المفسرون القدامى أم نحن في عصرنا - قد فسر الآية بمعطيات عصره.

التفصيل:

- **الفساد المادى في الأرض:**

(*) نقض النظريات الكونية، أبو نصر بن عبد الله الإمام، دار الآثار، صنعاء، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١) الحقائق العلمية:

خلق الله تعالى كوكب الأرض، ووفر فيه كل أسباب الأرزاق وأسباب استمرار الحياة لكل الأحياء، وجعل له غلافا جَوِّيًّا ضروريًّا، ووفْرة في الماء، وخصوبة في التربة، وظلت البيئة بدون تلوث حتى قامت النهضة الصناعية منذ القرن الماضي، وبدأت مشكلة تلوث البيئة معها."

إن للمدنية الحديثة وجهين؛ وجه الرفاهية والتطور إلى الأفضل، ووجه تلوث البيئة والتغيير إلى الأسوأ، وقد كان الظن أن المدنيّة الحديثة والتقدم التكنولوجي والصناعي سيحل مشكلات الإنسان ويجلب الرفاهية والسعادة والحياة الأفضل، إلا أن الذي حدث كان عكس ما كان مرجوًّا ومأمولًا؛ فقد تلوث الجو وتلوثت البحار والأنهار، الأمر الذي يحمل أخطارًا كبيرة للأحياء على هذه الأرض[1].

ومنذ قليل عقد علماء البيئة اجتماعًا في فرنسا (مؤتمر باريس ٢فبراير ٢٠٠٧)، وخرجوا بثلاث نتائج اتفق عليها أكثر من ٥٠٠ عالم من مختلف دول العالم:

- لقد بدأت نسب التلوث تتجاوز حدودًا لم يسبق لها مثيل من قبل في تاريخ البشرية، وهذا يؤدي إلى إفساد البيئة برًا وبحرًا ؛ ففي البر هنالك فساد في التربة، وفساد في المياه الجوفية وتلوثها، وفساد في النباتات؛ حيث اختّل التوازن في حرارة الجوّ، وفي البحر بدأت الكتل الجليدية بالذوبان بسبب ارتفاع وبدأت الكائنات البحرية بالتضرر نتيجة ذلك.

---

1. المحرمات وصحة الإنسان والطب الوقائيّ، د. أحمد شوقي إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٩٣.

إذن هنالك فساد في البيئة، وهذا ما عبَّر عنه أحد العلماء، وهو الدكتور **جفري شانتون**[1] بقوله:

Carbon dioxide (co٢), has increased in the atmosphere and now threatens to spoil our nest.

وهذا يعني: "إن غاز الكربون ازداد في الغلاف الجوي بشكل أصبح ينذر بفساد أرضنا". وانظر كيف يستخدم هذا العالم فعل الإفساد للبيئة!

ويقول العلماء إن درجة حرارة الأرض سترتفع ثلاث درجات خلال هذا القرن إن لم تُتخذ الإجراءات المناسبة، يتضح هذا من خلال المخطط الآتي:

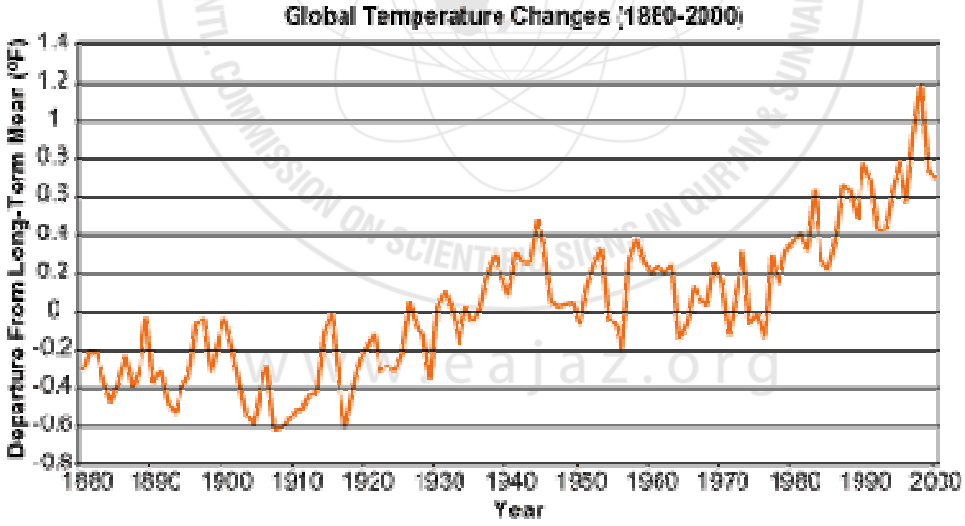

والمخطط السابق يبين أن معدل درجة الحرارة ارتفع درجة خلال المائة سنة الماضية، وهذا الارتفاع سوف يؤدي إلى كثير من الكوارث الطبيعية، مثل الأعاصير وازدياد التصحّر والأمطار الحامضية وغير ذلك.

- اتفق هؤلاء العلماء على أن الإنسان هو المسئول عن هذا الإفساد البيئي،

1. جفري شانتون: أحد علماء البيئة في جامعة فلوريدا.

وذلك بسبب إفراطه وعدم مراعاته للتوازن البيئي الطبيعي؛ فالحروب والتلوث والإفراط في استخدام التكنولوجيا، دون مراعاة البيئة وقوانينها، كل ذلك أدىٰ إلىٰ تسارع في زيادة نسبة الكربون في الجوّ؛ حيث تضاعفت نسبته أكثر من عشرة أضعاف منذ بداية الثورة الصناعية (أي منذ ٣٠٠ سنة).

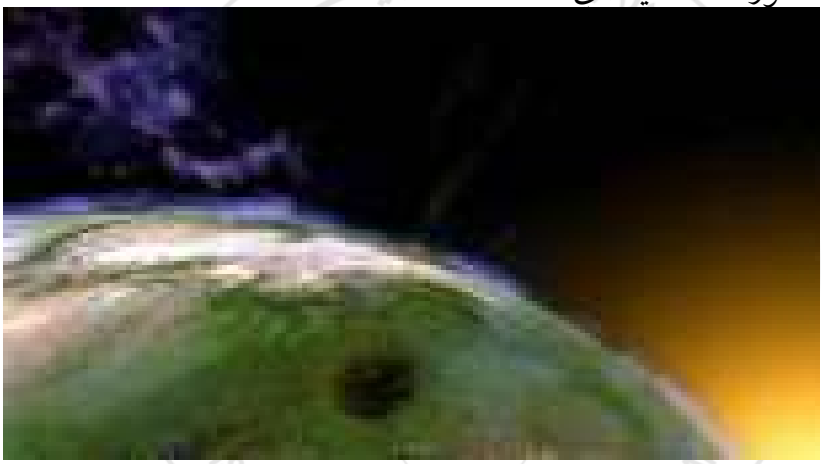

توجد ظاهرة تسمى الاحتباس الحراري، فالغازات الناتجة عن المصانع والسيارات تُحبس داخل الغلاف الجوي فترفع درجة حرارته وتلوث الجوّ والبر والبحر، وتؤدي إلى ازدياد نسبة الكربون، وقد أكد العلماء أن الناس هم الذين سببوا هذا الإفساد في البيئة وأخلّوا بالتوازن الطبيعي لها

www.eajaz.org

- وجّه العلماء في نهاية اجتماعهم نداء عاجلًا وإنذارًا لجميع دول العالم أن يتخذوا الإجراءات السريعة والمناسبة للحدّ من التلوث لتلافي الأخطار الناتجة عن التلوث الكبير في الجو والبحر واليابسة[1].

- **ظهور الفساد في البر:**

أفادت دراسة علمية بأن التغيرات المناخية قد تؤدي إلى انقراض ملايين

1. الفساد البيئي، معجزة قرآنية، عبد الدائم الكحيل، مقال منشور بموقع www.kaheel7.com.

الكائنات الحية بحلول عام ٢٠٥٠، وأوضح معدو الدارسة ـ التي نشرت في دورية "نيتشر"[1] ـ أنه بعد دراسة مطولة لست مناطق في العالم، اتضح أن ربع الكائنات الحية التي تعيش في البر قد تنقرض، وأضافوا أن اتخاذ الإجراءات اللازمة لتقليل نسبة الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري، وعلى رأسها ثاني أكسيد الكربون، قد ينقذ العديد من أنواع الكائنات الحية من الاندثار. وها هي الأمم المتحدة تؤكد أن هذه الظاهرة الخطيرة تهدد ملايين البشر الذين يعتمدون على الطبيعة للبقاء على قيد الحياة.

وفي تقرير يحمل اسم "خطر الانقراض الناجم عن التغيرات المناخية"، نشر العلماء نتائج دراستهم لست مناطق تتميز بالتنوع الأحيائي، وتمثل ٢٠ بالمائة من مساحة اليابسة على كوكب الأرض، واستخدمت الدراسة نماذج إلكترونية لمحاكاة رد فعل ١١٠٣ أنواع من الكائنات الحية بما فيها الثدييات والنباتات والطيور والزواحف والضفادع والفراشات، إزاء أي تغير في درجات الحرارة ومناخ الأراضي التي تعيش بها، ووضع العلماء ثلاثة احتمالات لتغير مناخ الأرض، وهي أقل تغير ممكن.

وتم إعداد هذه الاحتمالات على أساس بيانات مستقاة من اللجنة الحكومية البريطانية للتغيرات المناخية، كما اشتملت الدراسة على تقييم ما إذا كانت تلك الحيوانات والنباتات ستكون قادرة على الانتقال إلى مناطق جديدة أم لا.

ويؤكد فريق العمل الذي شارك في الدراسة أن ما بين ١٥و٣٧ من كافة الكائنات الحية التي تعيش في المناطق التي شملتها الدراسة قد تتعرض للانقراض

---

1. نيتشر (دورية): هي دورية علمية أسبوعية بريطانية تصدر بالإنجليزية وتعتبر من أبرز الدوريات العلمية في العالم، والتي نشرت لأول مرة في ٤ نوفمبر ١٨٦٩م، من أهم اختصاصات هذه المجلة مجاليّ الفيزياء والأحياء.

بسبب التغيرات المناخية على مدار الأعوام القادمة وحتى سنة ٢٠٥٠. ويقول الأستاذ كريس توماس[١]: إذا تم تعميم هذه الاستنتاجات في جميع أنحاء العالم وعلى أنواع أخرى من الحيوانات والنباتات البرية، فإننا نُرجِّح أن ملايين أنواع الكائنات الحية قد تتعرض لخطر الانقراض، فبعض الأنواع ستحرم من البيئة المناخية المواتية لمعيشتها، كما لن تتمكن بعض الأنواع الأخرى من الهجرة إلى مواقع ذات بيئة ملائمة.

إن كثيرًا من الآثار الخطيرة للتغيرات المناخية سوف تؤدي إلى التفاعل بين التهديدات المختلفة وليس تغير المناخ نفسه، وهذا الأمر لم يتوقعه العلماء، لكنهم أوضحوا أن هناك بعض المؤشرات على أن الأمور لن تتدهور بدرجة كبيرة حيث أكدوا أنه في حالة حدوث أقل تغير مناخي حتى عام ٢٠٥٠، وهو ما اعتبروه أمرًا حتميًّا، فإن ذلك يعني أن ١٨ بالمائة من أنواع الكائنات الحية المتضررة ستندثر، أما في حالة حدوث تغير مناخي متوسط المستوى فإن معدل الانقراض سيصل إلى ٢٤ بالمائة، بينما سيبلغ معدل الانقراض ٣٥ بالمائة إذا وقع أقصى تغير مناخي يمكن أن تتعرض له الأرض خلال الأعوام القادمة.

وقال **جون لانشبيري**[٢]: يبدو الأمر كما لو أننا ليس بوسعنا اتخاذ أي إجراء لتفادي انقراض بعض الأنواع، يجب علينا دائمًا محاولة الالتزام بأقل السيناريوهات ضررًا التي وردت في الدراسة.

ويقول الدكتور **كلاوس توبفير**[٣]: إذا انقرض مليون نوع من الكائنات، فإن

1. من جامعة ليدز الإنجليزية والذي يترأس فريق البحث.
2. من الجمعية البريطانية الملكية لحماية الطيور، الذي درس علوم وأنماط التغير المناخي لسنوات.
3. رئيس برنامج الأمم المتحدة للبيئة.

الضرر لن يقع فقط على مملكة النبات أو الحيوان أو الشكل الجميل للأرض، بل المليارات من البشر، وخاصة سكان الدول النامية؛ لأنهم يعتمدون على الطبيعة التي توفر لهم حاجاتهم الأساسية من غذاء وأدوية ومأوى.

- **ظهور الفساد في البحر:**

يؤكد العلماء أن كمية غاز ثاني أكسيد الكربون التي تمتصها المحيطات في العالم قد قلت، وأخذ باحثون من جامعة إيست أنجليا أكثر من ٩٠ ألف قياس، بفضل سفن تجارية مزودة بأجهزة إلكترونية لتحديد كمية ثاني أكسيد الكربون التي امتصتها المحيطات، وأظهرت نتائج الدراسة التي أنجزها فريق البحث على مدى عشر سنوات في شمال المحيط الأطلسي أن كمية ثاني أكسيد الكربون التي امتصها المحيط قلت بنسبة النصف ما بين أواسط التسعينيات من القرن الماضي وحتى عام ٢٠٠٥م، ويعتقد العلماء أن ارتفاع درجة حرارة الأرض يزداد سوءًا في حال امتصاص المحيطات كميات أقل من الغازات المسببة للاحتباس الحراري.

وقال الباحثون: إن نتائج أبحاثهم التي نُشرت في مجلة **"جيوفيزكال ريسرتش"** العلمية كانت مفاجئة ومقلقة في الوقت ذاته؛ فقد كانت هناك أسباب تدعو للاعتقاد أن عامل الزمن من شأنه جعل المحيطات مُشبعة بالانبعاثات الغازية، ويعتقد العلماء أن الاحتباس الحراري يزداد سوءًا في حال امتصاص المحيطات كميات أقل من الغازات.

ويقول **روجر هاربين**[1]: الباحثون لا يعرفون ما إن كان التغيُّر الحاصل ناتج عن التغير المناخي أو يُعزى إلى تغيرات أخرى تحدث في الطبيعة، غير أن الباحثين يقولون:

1. محلل بي بي سي لشئون البيئة.

إن نتائج أبحاثهم تمثل مفاجأة كبرىٰ ومصدر قلق لهم بسبب وجود ما يدعو إلىٰ الاعتقاد أنه مع مرور الوقت، فإن المحيط قد يصبح مشبعًا بانبعاثاتنا، أي أنه غير قادر علىٰ امتصاص كميات إضافية، وأن هذا الوضع سيجعل الانبعاثات التي نتسبب فيها ترفع درجة حرارة الجو، ولا يبقىٰ من غازات ثاني أكسيد الكربون المنبعثة إلىٰ الجو سوىٰ نصف الكمية، بينما يتحول النصف الآخر إلىٰ ترسبات فحمية.

وتنبأ فريق من الباحثين البريطانيين والفنلنديين بأن منسوب مياه البحر قد يرتفع مع نهاية القرن الحالي بمعدل يصل إلىٰ متر ونصف المتر مقارنة بالوضع الراهن، ويتجاوز الرقم الجديد بشكل كبير المستوىٰ الذي كانت اللجنة الدولية لتغير المناخ (**آي بي سي سي**) قد تنبأت بالوصول إليه في إطار التقييم الذي كانت قد أجرته العام الماضي وشكَّل علامة فارقة في مجال دراسة علم المناخ؛ حيث رأت أن الارتفاع سيكون عام ٢١٠٠ بين ٢٨و٤٣ سم فقط.

وتقول الدكتورة **سفيتلانا جيفريجيفا**[1]: إن المعدل العالمي لمستوىٰ مياه البحر العالمي كان مستقرًا للغاية علىٰ مر ألفىٰ سنة مضت؛ إذ إنه تغيَّر بحدود ٢٠ سم فقط خلال تلك الفترة، إلا أنه مع نهاية القرن الحالي، فإننا نتوقع أن يرتفع منسوب مياه البحر بمعدل يتراوح بين ٠,٨و١,٥م. إن الزيادة السريعة في ارتفاع منسوب مياه البحر خلال السنوات المقبلة مرتبط بسرعة ذوبان الطبقات الجليدية.

فوفقًا للدراسة الجديدة التي أعدها فريق الباحثين المشترك، سيكون لمثل هذا الارتفاع إلىٰ هذا الحد في مستوىٰ مياه البحر آثار جوهرية علىٰ البلدان التي تضم أراضٍ

1. من مختبر براودمان لعلوم المحيطات ببريطانيا، وهي أحد أعضاء فريق البحث.

منخفضة مثل بنجلاديش.

ويقول الخبير **سايمون هولجيت**[1]:إن هنالك القليل من الأدلة الملموسة التي تشير إلى تغير في مستويات مياه البحر على مدى آلاف السنين قبل فترة الثلاثمائة سنة الماضية، هنالك بعض الأدلة الأثرية المحدودة التي تعتمد على ارتفاع أحواض الأسماك التي كان يستخدمها الرومان، وربما شكلت الدليل الأقوى على أنه لم يكن هنالك تغير كبير في منسوب مياه البحر على مر السنوات الـ٢٠٠٠ الماضية.

إن الارتفاع المسجل حاليًّا في منسوب مياه البحر، والذي يصل إلى حوالي ثلاثة سنتمترات في العام الواحد، يُعتبر كبيرًا جدًّا، وإن العديد من العلماء العاملين في هذا الميدان يتوقعون أن يشهدوا تسارعًا أكبر في ارتفاع مستوى مياه البحر في المستقبل.

ولقد استخدم الباحث الألماني **ستيفان راهمستورف** (عام ٢٠٠٧) طريقة مختلفة لقياس ارتفاع مستوى مياه البحر، لكنه توصل إلى نتيجة مشابهة لتلك التي توصل إليها فريق الدكتورة **جيفريجفا**؛ إذ توقع ارتفاعًا في منسوب مياه البحر يتراوح ما بين ٠,٥و١,٤ م في عام ٢١٠٠. وتشير آخر المعلومات التي تم الحصول عليها عن طريق القمر الصناعي إلى أن طبقات الجليد في جرينلاند ومناطق غربي القطب الجنوبي بدأت بالفعل تفقد جزءًا من كتلتها بفعل ذوبان الجليد، على الرغم من أن الطبقات الجليدية في شرقي القارة القطبية الجنوبية قد تكون آخذة بدورها في الازدياد.

- **ظهور الفساد في عالم النبات والحيوان والطيور:**

جاء في دراسة علمية جديدة أن ظاهرة التغير المناخي تسببت في تغييرات بارزة

1. خبير من مختبر براودمان لعلوم المحيطات، الواقع قرب مدينة ليفربول البريطانية.

في النبات والحيوان. وجاء في دراسات أخرىٰ أن ارتفاع الحرارة بمعدل ستة بالعشرة من الدرجة المئوية في القرن العشرين، أدىٰ إلىٰ بدء موسم النمو في أوروبا وأمريكا الشمالية أبكر من موعده السابق. وتقول الدكتورة نكي نيلسون: إن ارتفاع درجة الحرارة بدرجة مئوية واحدة قد يؤدي إلىٰ انقراض الحيوانات التي تعرف بالتوتورا، وهي خليفة الديناصور المنقرض، فدرجة مئوية واحدة تحدث تغييرًا في الأجواء التي تنمو فيها أجنة الذكور أو الإناث.

كما تبين أن البعوض الذي يحمل الأمراض في الأراضي المرتفعة في آسيا وشرق أفريقيا ودول أمريكا اللاتينية، أصبح بإمكانه العيش علىٰ ارتفاعات أكثر من ذي قبل، ويقول العلماء الذين قاموا بتلك الدراسة إن ارتفاع درجات الحرارة يعني أيضًا أن هناك بعض العينات من النبات والحيوان سيكون مصيرها الفناء، وقد توقع بعض الخبراء أن ترتفع درجة الحرارة بشكل كبير خلال السنوات الخمس المقبلة.

وتأكيدًا لذلك توصلت دراسة عالمية أُجريت مؤخرًا إلىٰ نتيجة مفادها أن تغيرات المناخ تزيد إلىٰ حد كبير حجم المخاطر التي تواجهها الطيور في أرجاء العالم المختلفة وما يهدد بانقراضها؛ فقد حذرت مؤسسة **"القائمة الحمراء للطيور لعام ٢٠٠٨"** من أن حالات الجفاف التي تتعرض لها بعض المناطق علىٰ المدىٰ البعيد وظروف الطقس القاسية جدًّا تفرض المزيد من الضغط علىٰ المواطن الرئيسية للطيور في العالم، وشملت القائمة التي أوردتها الدراسة التخمينية١٢٢٦ نوع من الطيور المهددة بالانقراض.

يقول الدكتور **ستيوارت بوتشارت**[1] تعليقًا علىٰ نتائج الدراسة: من العسير جدًّا

1. منسق قسم المؤشرات والبحوث في مؤسسة "بيردلايف إنترناشيونال".

أن نعزو بدقة بعض التبدلات الخاصة لدى طيور بعينها إلى تبدل المناخ، إلا أن هنالك مجموعة كاملة من أنواع الطيور أصبحت مهددة بالانقراض؛ نتيجة ظروف الطقس القاسية جدًّا والجفاف.

كما يرى الدكتور **بوتشارت** أن القضاء على الكائنات التي تغزو مناطق الطيور تلك أو ضبطها هو إجراء فعال جدًّا للحفاظ عليها وهو قابل للتطبيق؛ إذ إنه يساعد الطيور على الصمود في وجه الضغوط الإضافية المترتبة على تغير المناخ.

ويؤكد الدكتور **بوتشارت** أن المناطق الحرارية تتغير وتتحول بسبب تغير المناخ، فقد بدأت المناطق المرتفعة تشهد درجات حرارة مرتفعة أيضًا، وبالتالي أصبح بإمكان البعوض الانتقال إلى تلك المناطق المرتفعة. إن مثل هذا الأمر يلتهم المناطق الخالية من البعوض التي اعتادت الطيور أن تشغلها، ورغم ما أظهرته الدراسة الأخيرة من تواصل في انخفاض أعداد الطيور في العالم، إلا أن المعنيين بالحفاظ عليها لازالوا متفائلين بإمكانية إنقاذ العديد من أنواع الطيور المهددة بالانقراض.

- **العلماء يطلقون صيحات الاستغاثة:**

وفي آخر تحذير أطلقه العلماء لعلاج هذه الظاهرة أنهم يؤكدون من خلال الدراسات أن العالم بحاجة لاستثمار ٤٥ تريليون دولار في مصادر الطاقة خلال العقود المقبلة، بالإضافة إلى بناء ١٤٠٠ مفاعل نووي، وتوسيع العمل بالطواحين الهوائية من أجل تقليص انبعاث الغازات الدفيئة إلى النصف بحلول العام ٢٠٥٠، والتقرير الذي صدر عن وكالة الطاقة الدولية ـ التي تتخذ من باريس مقرًّا لها ـ يتصوّر "ثورة للطاقة" من شأنها أن تخفض وبشكل كبير اعتماد العالم على الوقود المستخرج من الأرض، وفي

الوقت نفسه الحفاظ على نمو الاقتصاد العالمي بثبات[1].

ويمكن إجمال الإفساد المادي في الأرض في ثلاثة أنواع:

- التلوث الكيميائي للبيئة.
- الإفساد في الأرض بالتلوث الحراري.
- الإفساد في الأرض بالتلوث الإشعاعي[2].

٢) التطابق بين الحقائق العلمية وما أشارت إليه الآية:

فى قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ **(الروم: ٤١)**

أشار الله تعالى إلى الإفساد المادى في بيئات الأرض الثلاث: التربة والماء والهواء، وذلك لأن لفظة (البر) تشمل كلًا من اليابسة وما يحيط بها من غلاف غازى، وكذلك لفظة (البحر) تشمل كلًّا من القاع المنخفض والماء الذى يمتلئ به وما يحيط بهما من غلاف غازى. وهذه البيئات الثلاث وما بكل منها من مختلف صور الأحياء والجمادات تشكل حلقات مترابطة يتأثر بعضها ببعض، وأى إخلال بنظام إحداها يؤثر سلبًا على النظم الأخرى.

وقد بدأت مشكلة تلوث البيئة في التفاقم مع بداية الثورة الصناعية في أوربا الغربية، والتى كانت أولى خطواتها مع اختراع الآلة البخارية؛ فقد أدى سوء استخدام الوقود الأحفورى (من أمثال الفحم الحجري والنفط والغازات الطبيعية) في آلات

---

1. التغير المناخي إنذار من الله، عبد الدائم الكحيل، مقال منشور بموقع: www.kaheel7.com.
2. للمزيد انظر: الإنسان من الميلاد إلى البعث في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، مرجع سابق، ص٤٣٢: ٤٣٩.

الاحتراق الداخلي ومحركات الدفع والمصانع المختلفة إلى زيادة نسبة عدد من الغازات السامة التى من أخطرها أكاسيد كل من الكربون والكبريت والنيتروجين والرصاص والهيدروكربونات غير كاملة الاحتراق التى تطلق كلها في الغلاف الغازي للأرض.

وهذا الاعتداء على البيئة وعلى ما فيها من أحياء هو من معانى الإفساد في الأرض؛ لأنه إفساد مادي ملموس يحدثه الإنسان بسوء سلوكياته وتصرفاته في مختلف بيئات الأرض، وقد أحكم الله خلقها، وضبط علاقاتها ببعضها كمًا وكيفًا بإحكام واتزان بالغين لا يُخلّه إلا إفساد الإنسان، وذلك لأن الله تعالى خلق كل شيء بقدر، أي بمكونات ومقادير محددة ومتوازنة وبصفات وخصائص معينة تكفل لكل بيئة الملاءمة الكاملة لأنواع الحياة التي خلقت لها في توافق واعتدال لا يفسده إلا تدخل الإنسان بطمعه وجشعه وإسرافه، أو بجهله وتخلفه وتسيبه أو بسوء نواياه وخبث مقاصده مما يفسد مكونات النظم البيئية الدقيقة كمًا وكيفًا ويخرجها عن سويتها التي خلقها الله تعالى بها، ويجعلها غير موائمة للأحياء التى تعيش فيها ويصيبها بشيء من الخلل أو الشلل الذى يعطلها عن أداء وظيفتها ويفقدها صلاحيتها ونفعها[1].

ومن ثم فالآية لا تقتصر على ما ذكره المفسرون من أن الفساد في الآية يعنى القحط وقلة المطر وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شيء ـ كما ذهب الطاعنون ـ ولكنها تنطبق أيضًا على أنواع الفساد الأخرى التى ظهرت في عصرنا؛ وعليه فالآية الكريمة من آيات الإعجاز العلمى والغيبى في كتاب الله؛ لأنه لم يكن لأحد من الخلق إمكانية تصور الواقع الحالى البيئى للأرض من قبل ألف وأربعمائة من

1 . الإنسان من الميلاد إلى البعث في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، مرجع سابق، ص٤٣٢، ٤٣٣.

السنين.

- **الدلالات اللغوية للآية:**
  - **ظهر**: ظهر الشيء ـ ظهورًا: تبيَّن وبرز بعد الخفاء[1].
  - **الفساد**: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلًا كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويضادُّه الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة[2]، والفساد: التلف والعطب. و ـ الاضطراب والخلل. و ـ الجدب والقحط[3].
  - **البر**: ما انبسط من سطح الأرض ولم يغطه الماء[4].
  - **البحر**: الماء الواسع الكثير، ويغلب في الملح[5].
- **من أقوال المفسرين في الآية:**

يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ **(الروم: ٤١)**: إن الفساد المقصود هو سوء الحال، وهو ضد الصلاح، ودل قوله: ﴿فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ **(الروم: ٤١)** على أنه سوء الأحوال فيما ينتفع به الناس من خيرات الأرض برها وبحرها.

---

1. المعجم الوسيط، مادة: ظهر.
2. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص٣٧٩.
3. المعجم الوسيط، مادة: فسد.
4. المعجم الوسيط، مادة: برّ.
5. المعجم الوسيط، مادة: بحر.

ثم إن التعريف في كلمة "الفساد": إما أن يكون تعريف العهد لفساد معهود لدى المخاطبين، وإما أن يكون تعريف الجنس الشامل لكل فساد ظهر في الأرض برها وبحرها، وأنه فساد في أحوال البر والبحر لا في أعمال الناس بدليل قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم: ٤١)، وفساد البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثل حبس الأقوات من الزروع والثمار والكلأ، وفي موتان الحيوان المنتفع به، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جراء قحط الأرض إلى أرضين أخرى، وفي حدوث الجوائح من جراد وحشرات وأمراض.

وفساد البحر كذلك يظهر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان (فقد كانا من أعظم موارد بلاد العرب)، وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس...

ويجوز أن يكون المعنى أن الله تعالى خلق العالم على نظام محكم ملائم صالح للناس فأحدث الإنسان فيه أعمالا سيئة مفسدة... فأخذ الاختلال يتطرق إلى نظام العالم. وأطلق الظهور على حدوث حادث لم يكن، فشبه ذلك الحدوث بعد العدم بظهور الشيء الذي كان مختفيًّا.

ومحمل صيغة فعل "ظهر" على حقيقتها من المضي، يقتضي أن الفساد حصل وأنه ليس بمستقبل، فيكون إشارة إلى فساد مُشاهَد أو محقق الوقوع بالأخبار المتواترة، وقد تحمل صيغة الماضي على معنى توقع حصول الفساد والإنذار به، فكأنه قد وقع على طريقة: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ (النحل: ١).

وأيًّامًا كان الفساد من معهود أو شامل، فالمقصود أن حلوله بالناس بقدرة الله،

كما دلَّ عليه قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ **(الروم: ٤١)**، وأن الله يقدر أسبابه تقديرًا خاصًا ليجازي من يغضب عليهم على سوء أفعالهم.

وهذا هو المراد بما كسبت أيديهم؛ لأن إسناد الكسب إلى الأيدي جرى مجرى المثل في فعل الشر والسوء من الأعمال كلها، دون خصوص ما يعمل منها بالأيدي لأن ما يكسبه الناس يكون بالجوارح الظاهرة كلها، وبالحواس الباطنة من العقائد الضالة والأدواء النفسية[1].

ويقول الشيخ الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ **(الروم: ٤١)**: ظهر: بان ووضح. والظهور: أن يبين شيء موجود بالفعل لكنا لا نراه، وما دام الحق سبحانه قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ **(الروم: ٤١)**، فلابد أن الفساد كان موجودًا، لكن أصحاب الفساد عمُّوه وجنوه إلى أن فقس وفرخ في المجتمع.

والفساد لا يظهر إنما يظهر أثره، أتذكرون الزلزال الذي حدث وكشف الفساد والغش والتدليس بين المقاول والمهندس، وكانت المباني قائمة والفساد مستترًا، إما لغفلتنا عنه، أو لتواطئنا معه، أو لعدم اهتمامنا بالأشياء، إلى أن طمَّت المسائل، ففضح الله الأرض بالزلزال، ليكشف ما عندنا من فساد.

فإذا ازداد الغش وانتشر، وفاق الاحتمال لابد أن يظهره الله للناس، فلم يَعُد أحد قادرًا على أن يقف في وجه الفساد أو يمنعه؛ لذلك يتدخل الحق سبحانه، ويفضح أهل الفساد ويذيقهم آثار ما عملت أيديهم.

---

1. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، المجلد١٠، ج٢١، ص١١٠:١١٣ بتصرف.

وتأتي ظهر بمعنى "الغلبة" كما في قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ (الصف)، أي غالبين... وبمعنى "العلو" في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ (الكهف).

فالمعنى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ (الروم: ٤١)، أي: غلب الصلاح وعلا عليه، والكون خلقه الله تعالى على هيئة الصلاح، وأعدَّه لاستقبال الإنسان إعدادًا رائعًا، وللتأكد من صدق هذه المسألة، انظر في الكون وأجناسه وأفلاكه وأجوائه، فلن ترى فسادًا إلا فيما تتناوله يد الإنسان، أما ما لا تتناوله يد الإنسان، فلا ترى فيه خللًا؛ لأن الله خلقه منسجم التكوين: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس).

فهل خلقنا الحق سبحانه وخلق اختيارنا لنفسد في الكون؟ لا، إنما هو ابتلاء الاختيار، حين ينزل عليك المنهج ويجعله قانونًا لحركتك بافعل ولا تفعل، وما لم أقل فيه (افعل) أو (لا تفعل) فأنت حرّ فيه، فلا يحدث من الفعل أو من عدمه ضرر في الكون، أما أنا فقد قلت افعل في الذي يحصل منه ضرر بعدم فعله، وقلت لا تفعل في الذي يحصل ضرر من فعله.

فالفساد يأتي حين تُدخل يدك في شيء وأنت تطرح قانون الله في افعل ولا تفعل، أما الصلاح فموجود وفيه مناعة يكافح بها الفساد، فإن علا تيار الفساد وظهر على الصلاح وغلبه، بان للناس...

فالحق يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ (الروم: ٤١)، أي: غلب على قانون الصلاح الذي أقام الله عليه نظام هذا الكون، الذي لو نالته يد الإنسان لفسد هو الآخر، كما قال

سبحانه: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (المؤمنون: ٧١).

فظواهر الكون - أشياء وقضايا ـ لكل العامة، ومن الحكمة ألا تنالها يد الإنسان؛ لأن الله تعالى يريد للكون البقاء، ولم يأت أوان انتهائه، لذلك يجعل الحق سبحانه فينا مناعة تجعلنا نقبل الفساد إلى حين، إلى أن يصل إلى درجة التشبع، فتتفجر الأوضاع...

وما دام الحق سبحانه قال: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ (الروم: ٤١)، فلابد أن الفساد جاء من ناحيتهم، وبالله هل اشتكينا أزمة في الهواء مثلًا؟ لكن نشتكي تلوث الهواء بما كسبت أيدي الناس، أماحين نذهب إلى الخلاء حيث لا يوجد الإنسان، نجد الهواء نقيًّا كما خلقه الله.

وقوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ (الروم: ٤١) الإذاقة هنا عقوبة، لكنها عقوبة الإصلاح كما تعاقب ولدك وتضربه حرصًا عليه... وحين يذيق الله الإنسان بعض ما قدَّمت يداه يوقظه من غفلته، وينبِّه فيه الفطرة الإيمانية، فيحتاط للأمر ولا يهمل ولا يقصر، وتظل عنده هذه اليقظة الإيمانية بمقدار وعْيه الإيماني...

وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم: ٤١) لأن الكلام هنا في الدنيا، وهي ليست دار جزاء؛ فالحق يذيقهم بعض أعمالهم ليلتفتوا إليه سبحانه، ويتوبوا ويعودوا إلى حظيرة الإيمان؛ لأنهم عبيده، وهو سبحانه أرحم بهم من الوالدة بولدها[1].

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم قد تحدث عن النتائج الثلاثة التي توصل إليها العلماء ونادوا بها في العصر الحديث بدقة مذهلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى

1. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، المجلد ١٨، ص١١٤٧١:١١٤٧٨ بتصرف.

﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم: ٤١)؛ فقد تضمنت هذه الآية الكريمة إشارة إلى النتائج الثلاث التي اتفق عليها العلماء اليوم، وهي:

١. ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (الروم: ٤١) اتفق العلماء على أن الفساد في البيئة، وكلمة الفساد تشمل التلوث والتغيرات المناخية وكل شيء جاوز الحدّ، ومن معاني الفساد (الجدْب)، أي: التصحر، وهو ما يحدث اليوم على الأرض حيث يؤكد العلماء أن المساحة الخضراء تتقلص بفعل البشر وسوف تزداد الأراضي الجافة والمتصحرة في الأعوام القادمة بسبب زيادة التلوث، ويؤكدون أيضًا أن الفساد البيئي يشمل البرّ والبحر، تمامًا كما جاء في الآية الكريمة.

٢. ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ (الروم: ٤١) يؤكد العلماء أن التلوث والفساد البيئي في البر والبحر إنما نتج عن الإنسان؛ فالناس هم المسئولون عن هذا التغير البيئي الخطير، تمامًا كما حدثنا القرآن قبل ألف وأربعمائة سنة.

٣. ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم) تتضمن هذه الآية تحذيرًا للناس كي يرجعوا إلى الإصلاح في الأرض وتدارك هذا الفساد البيئي الذي نتج عن تجاوزهم الحدود التي خلق الله الأرض عليها، وأن يعيدوا للغلاف الجوي توازنه ويقللوا من كمية الملوثات التي يطلقونها كل يوم والتي تقدر بملايين الأطنان! هذا التحذير هو نفسه الذي أطلقته منظمة الأمم المتحدة منذ مدة!

إذن الآية الكريمة تحدثت عن ظهور الفساد الذي يشمل البر والبحر، وقد عبّر القرآن عن ذلك بكلمة (ظَهَرَ) بالماضي لأن القرآن لا ينطق إلا بالحق، فالمستقبل بالنسبة

لله تعالى هو حقيقة واقعة لا مفر منها، وكأنها وقعت في الماضي وانتهى الأمر؛ ولذلك جاء التعبير عن هذه الحقيقة العلمية بالفعل الماضي، كذلك تحدثت الآية الكريمة عن المسئول عن هذا الفساد البيئي وحددّت الفاعل وهو الإنسان، وتحدثت عن إمكانية الرجوع إلى العقل والمنطق وإلى العمل على إعادة التوازن للأرض[1].

٣) وجه الإعجاز:

تنبَّأ القرآن الكريم بظهور الفساد الذي يُصيب البر والبحر، كما حدد المسئول عن هذا الفساد، وهو الإنسان، فتغير المناخ ناتج عن تلوث البيئة بتدخل الإنسان واعتدائه الدائم عليها ماديًّا ومعنويًّا؛ مما يؤدي إلى ظهور الفساد في تلك البيئة برًّا وبحرًا، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم).

www.eajaz.org

1. الفساد البيئي: معجزة قرآنية، عبد الدائم الكحيل، مقال منشور بموقع www.kaheel7.com

رابطة العالم الإسلامي MUSLIM WORLD LEAGUE

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

الرقم الموحد : ٩٢٠٠١٠٠٩٧

ص.ب ١١٢٨٣٣ جدة ٢١٣٧١

مكة المكرمة : تليفاكس ٥٦٠١٣٣٢ ص.ب ٥٧٣٦

جدة : هاتف ٦٨٢٤٦٠٨ - فاكس ٦٨٢٠٣٢٨

المدينة المنورة : هاتف ٨٦٤٤٨٣٠

الرياض : هاتف ٢٥٣٣٥٥٥

الطائف : هاتف ٧٤٤١٦٨٦

الشرقية : هاتف ٨٩٧٣٢٠٠

عسير : هاتف ٢٢٦٣٣٣٣

اللجنة النسائية - مكة المكرمة : هاتف ٥٤١٣٣٣٥

اللجنة النسائية - المدينة المنورة : هاتف ٨٦٤٤٣٥٠

اللجنة النسائية - جدة : هاتف ٦٨٣٧٦٥٠

اللجنة النسائية - الطائف : هاتف ٧٤٨٧٤٧١

اللجنة النسائية - الدمام : هاتف ٨٤٣٢٣٥٨

المكاتب الخارجية

مصر (القاهرة): ٢٠٢٢٢٧١١١٣٥ + المغرب (الرباط): ٢١٢٦٦٧٩٩٦٧٧٤+

الجزائر (الجزائر): ٢١٣٣٦٩٣٨١٤٥ + السودان (الخرطوم): ٢٤٩١٨٣٤٣٤٨٩٥+

تركيا (اسطنبول) : ٩٠٥٣٢٣٢٣٨٨٠٠+

e-mail: info@eajaz.org www.eajaz.org

MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية الاعتبارية المستقلة؛ تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعمل على نشرها. أنشئت بقرار من المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السادسة لعام ١٤٠٤ هـ، لتوفر وسيلة معاصرة للدعوة الإسلامية تقدم بها البرهان الساطع والحجة البالغة على صدق الرسالة المحمدية من خلال العلم؛ هذا الشاهد العدل الذي ارتضاه عالمنا المعاصر حكماً ومرجعاً.

الـرؤيـة

هيئة عالمية رائدة . . لمعجزة نبوية خالدة.

الـرسـالة

تحقيق أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وإظهارها للناس كافة.

الاستراتيجية

- مرجعية شرعية وعلمية لعلوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- نشر وإبراز أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- تنمية الموارد المالية و تنويع مصادرها.
- استخدام التقنيات الحديثة وتطويرها لخدمة برامج وأهداف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

رقم حساب الهيئة بالبنك الأهلي التجاري

SA751 0000000 155055 000109

www.eajaz.org e-mail: info@eajaz.org